٣٠ شخصاً في العام ١٩٨٦. وقبلت وزارة الهجرة الكندية ما ذكره شخص اسرائيلي يدعى، غرشون شارون، من انه اذا عاد الى اسرائيل، فانه سيتمّ ارساله الى الخدمة في المناطق المحتلة ضمن خدمته الاحتياطية. وباعتباره يعارض سياسة القمع التي تنتهجها اسرائيل، في المناطق المحتلة، فانه قد يتمّ ارساله الى السجن(٥٠).

تدهور الوضع النفسي والاخلاقي

وبطبيعة الحال، أدت الاعمال القمعية الوحشية، والمجازر البشعة التي ترتكبها قوات الاحتلال، الى المزيد من تدهور الحالة الأخلاقية، وتفشّي ظواهر نفسية ومرضية داخل المجتمع الاسرائيلي. وفي هذا المجال، ينتظر ان تزداد هذه الحالة تدهوراً كلما اشتدت الاجراءات القمعية، واتسع نطاقها، ضد الشعب الفلسطيني، الى الحد الذي باتت تخشى الاوساط الاسرائيلية النافذة معه من تدني سمعة اسرائيل وصورتها «الاخلاقية» في أنظار العالم الى الحضيض.

لقد بدأت بوادر هذا التدهور تظهر في صفوف الجيش الاسرائيلي، الذي جعل مهنته تنحصر في قتل الابرياء الفلسطينيين وتدمير مقوّمات وجودهم، ممّا شوّه صورة هذا الجيش، وبالتالي صورة اسرائيل، وجعل العالم يتساءل تساؤلات اخلاقية: «لأول مرة تهتز صورة الجيش لدى الرأي العام العالمي الى درجة ان الطوائف اليهودية بدأت تتساءل تساؤلات اخلاقية...»(٥١).

ومنذ البداية، نبّه علماء النفس والاجتماع الى خطورة انتقال ممارسات الجيش الهمجية والوحشية الى داخل المجتمع الاسرائيلي. وهم يدركون، بطبيعة الحال، التركيبة العرقية غير المتجانسة لهذا المجتمع، والتي تخفي مخزوناً كبيراً من العوامل المساعدة على تفشّي ظاهرة العنف الاجتماعي.

والواقع، ان دوافع العنف الاسرائيلي لا تكمن فقط في الوضع النفسي المتردي للجنود وقادتهم، وانما في التربية والعقيدة الصهيونية المبنية على غرس الحقد والكراهية ضد العرب الفلسطينيين. وما يؤكد ذلك، ان الاعمال التي يصفونها بـ الشاذة» ما هي، في الواقع، الّا الاسلوب السائد والنهج المتبع في قمع الانتفاضة. فعندما عرضت على شاشات التلفزيون صورة الجنود الاسرائيليين الذين عذبوا مواطنيْن عربييْن في منطقة نابلس، علّقت مجموعة من هؤلاء الجنود على ذلك بقولها: «ليس مفهوماً، بالضبط، ما هي الصورة التي هزت قائد المنطقة الوسطى. ان الضرب الذي شاهدناه في التلفزيون هو نقطة في بحر ما يجرى في المناطق [المحتلة]. واذا كانت هذه الصورة قد هزّته، فانه حتماً لا يعرف ما يدور على الساحة»(٥٢).

وهذا، في الواقع، ما جعل بعض علماء النفس يحذّرون من العواقب الوخيمة التي قد تنعكس، في المدى المنظور، أو البعيد، داخل اسرائيل. والمجتمع الاسرائيلي المهيأ لمثل هذه التطورات، أصبح اكثر ميلاً الى تقبّل هذا الوضع والسير على طريق العنف. وقد شهد العام الماضي ارتفاعاً ملحوظاً في اقبال الاسرائيليين على ابتياع قطع السلاح. واشارت الاذاعة الاسرائيلية (١٩٨٨/٧/٣٠) الى ان «اكثر من ٢٠٠ ألف شخص في اسرائيل يمتلكون، حالياً، سلاحاً فردياً. ومعظم الذين يقومون بابتياع الاسلحة، يبررون ذلك بالاحداث في المناطق [المحتلة] وبزيادة الاعمال الاجرامية في البلاد». ويذكر، في هذا المجال، تنامي ظواهر اليأس والاحباط والخوف من المجهول، التي بدأت تضغط على عقول الاسرائيليين واعصابهم. كتب يوئيل ماركوس: «يثير الوضع، هذه الايام، الغضب والاحباط الى حد يصل النحيب الفعلي... كم من الوقت القليل يلزم لقض مضاجعنا وادخالنا الى الضغط والرعب والهستيريا والخصومات بين الأشقاء؟ انه أمر لا يصدق»(٥٣). ولا يؤمن الكثير من الاسرائيليين